ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

Karl Heinrich Graf's Biography and Scientific Endavours in the View of the Four Sources Theory in Old Testament Criticism

Arej Ahmed Hamdoun **Omar Sallam sadiyq**
University of Mosul /College of Islamic Sciences

***Corresponding author: E-mail :**
omar_alsalihbag@uomosul.edu.iq
areej.22isp22@student.uomosul.edu.iq

0009-0008-1476-0912

***Keywords*:**
Graf, Theory of the Four Sources, Priestly Laws, Torah.

ARTICLE INFO

Article history:

Received	**30. Jan.2025**
Revised	**6. Mar.2025**
Accepted	**13. Mar.2025**
Available online	**3.Jun.2025**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

ABSTRACT

Graf is a French theologian born in (1230 AH / 1815 AD), and one of the scholars who contributed to the forming of the four sources theory, and left an unforgettable mark in constructing this theory to great extent that its name is linked to his together with three other scholars – Royce, Quinn and Wellhausen, but there are those who belittle the value of Graf's scientific efforts in the theory of the four sources; because they see that Graf's research is based on the efforts of scholars who precede him, so in their opinions his research depends on others' efforts , and has nothing new in the theory of the four sources; therefore, it is not appropriate to consider him one of the scholars of the theory. In fact, Graf's research, although based on the studies of his predecessors and that no new trends can be seen in his research, rests on the research of his predecessors in various ways, combining their opinions thus removing the contradictions between them. He sought to create a comprehensive vision of the history of ancient Israel, which became clearer to Wellhausen, who benefited from Graf's research. Graf also had the merit of introducing the opinions of some scholars, as his research, which spread among critics, played a role in introducing the efforts of his predecessors. © 2025AJHPS, College of Education for women, University of Mosul.

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

كارل هاينريش غراف، سيرته الشخصية وجهوده العلمية في نظرية المصادر الأربعة في نقد العهد القديم

أريج أحمد حمدون عمر سلهم صديق
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل

الخلاصة:

غراف عالم لاهوت فرنسي ولد عام (1230هـ/ 1815م)، وهو أحد العلماء الذين اسهموا في تشكيل نظرية المصادر الأربعة، وترك بصمة لا تُمحى في نحتِ أركان هذه النظرية، لدرجةِ ارتباط اسمها باسمهِ مع ثلاثةِ عُلماء آخرين – رويس، كوينن، فلهاوزن –، ولكن هُناك من يُقلل من قيمةِ جهود غراف العلمية في نظرية المصادر الأربعة؛ وذلك لأنهم يرون أن ابحاث غراف قامت على جهود العُلماء السابقين له، فهو برأيهم لم يكن مُبتكراً لأبحاثهِ، ولم يُضف شيئاً جديداً على نظرية المصادر الأربعة؛ لذا ليس من المناسب عدّه أحد عُلماء النظرية. وفي الحقيقة أن ابحاث غراف وإن قامت على دراسات من سبقه، وأنه لم يسلك مسارات جديدة في أبحاثهِ، إلا أنه كان قادراً على البناء على أبحاث أسلافهِ بطرقٍ متنوعة، ودمج بين آرائهم رافعاً التناقضات بينها، وسعى لخلق رؤية شاملة لتاريخ إسرائيل القديمة والتي اتضحت بصورة أكبر على يد فلهاوزن الذي استفاد من أبحاث غراف. كما أن لغراف فضلٌ في التعريف بآراءِ بعض العُلماءِ، إذ كان لأبحاثهِ التي انتشرت بين عُلماء النقد دورٌ في التعريفِ بجهودِ السابقينَ له. وعليه لا يمكن دراسة نظرية المصادر الأربعة دون الوقوف على ما قدمه غراف من إسهاماتٍ فيها، أبرزها ما يتعلق بالتأريخ المُتأخر للقوانين الكهنوتية، والذي قاد في النهايةِ إلى عد هذه القوانين مصدراً آخر من مصادر التوراة، فأكتمل بذلك اكتشاف المصادر الأربعة الأساسية لأسفار التوراة الخمسة، وهي: المصدر اليهوي، الإيلوهيمي، التثنوي، والكهنوتي.

الكلمات المفتاحية: غراف، نظرية المصادر الأربعة، القوانين الكهنوتية، التوراة.

المقدمة

(كارل هاينريش غراف Karl Heinrich Graf) عالم لاهوت، ولد في فرنسا عام (1230هـ/ 1815م)، وانصبت اهتماماته العلمية على دراسة العهد القديم، والدراسات الشرقية. وأبرز نتاجات غراف العلمية تلك التي تتعلق بدراسة الأسفار الخمسة في سياق إكمال وتطوير نظرية المصادر الأربعة –احدى نظريات نقد العهد القديم، وفحواها أن التوراة الحالية ليست هي توراة موسى عليه السلام، وأن باقي اسفار العهد القديم لم تُكتب من قِبل أنبياء بني إسرائيل بإلهامٍ من الرب، ولكن جميعها (التوراة، وباقي اسفار العهد القديم) نتجت بوساطة ايدٍ بشرية عملت على تجميع تراث بني إسرائيل الديني والشعبي، وعلى مدى قرونٍ عديدة، ومن خلال عمليات التجميع

والتحرير المُتكررة نتجت مصادر أو وثائق أربع كل واحد منها تعود لزمن مُختلف، ثم جُمعت هذه المصادر اخيراً بعد السبي البابلي (597ق. م– 538ق. م) وبذلك تشكلت اسفار العهد القديم. ولقد استغرق الغرب قروناً عديدة من الدراسةِ والبحث حتى توصلوا إلى هذه النتيجة، وعمِل عُلماءٌ كُثر على تبني وتطوير هذه النظرية–، وكانت أبحاث غراف في نظرية المصادر الأربعة مبنية على افكار من سبقهُ، وخصوصاً أستاذه عالم اللاهوت (رويس **Reuss**) (1219هـ/ 1804م–1298هـ/ 1881م)، الذي أخذ منه غراف فكرة التأريخ المُتأخر للقوانين الكهنوتية –كان العلماء يظنون بأن المصدر التثنوي هو آخر المصادرِ، حتى جاء رويس وبين أن آخر المصادر هو المصدر الكهنوتي، ومنه اخذ غراف هذهِ الفكرة– والتي انتشرت بين عُلماء النقد من خلال ابحاثه. توفي غراف عام (1286هـ/ 1869م).

تكمن أهمية هذا البحث –وهو جُزء من رسالة ماجستير تكتبها الباحثة– في كونه يُسلط الضوء على حياة هذا العالمِ، وجهودهِ العلمية في نظرية المصادر الأربعة، إذ لم اعثر على كتاب أو بحث عربي درسَ حياة هذا العالم، وكشف عن تفاصيل علاقتهِ بأساتذتهِ، وكيف تأثر بهم إلى حد الاتباع، وعن شخصيته المبدئيةِ، والتزامهِ بأخلاقيات مهنة التدريس التي مارسها، كل ذلك تم معرفته من خلال الاطلاع على البحوث والكتب والمواقع الأجنبية وبعض الكتب التي عُربت في الآونةِ الأخيرة. وكانت المصادر العربية والمُعربةِ –وهي تعرض نظرية المصادر الأربعة ضمن تاريخِ نقد العهد القديم– تمر على جهود هذا العالم مُركزة على أن أبحاثه مبنيةٌ على أفكار أستاذه رويس، فتبدو جهود غراف ضئيلةً أمام أستاذهِ رويس، كما كانت الدراسات العربية والمُعربةِ تُركِزُ على نقطةٍ واحدة لكِلا العالِمين، وهي التأريخ المُتأخر لقوانين الكهنوتية؛ ليبرز تساؤلٌ هل كانت جهود غراف مُقتصرةً فقط على ما نقله عن سابقيهِ وخصوصاً أستاذه (رويس)؟ فكان لا بد من البحث في المصادر الأجنبية؛ ليتم الوقوف على الحياة الشخصية لهذا العالم، والتعرف على جهوده العلمية وإسهاماتهِ في بناءِ هذه النظريةِ بشكل أكثر تفصيلاً مما عرضته المصادر العربية والمُعربةِ.

وتم تقسيم البحث إلى مبحثين، الأول: "سيرة غراف الشخصية"، والذي تضمن ولادته وتعليمه وعلاقتهِ بأساتذتهِ والوظائف التي شغلها وزواجه وأخيراً مرضه ووفاتهِ. والمبحث الثاني: "جهود غراف العلمية في نظرية المصادر الأربعة" عُرِضت فيه أبرز إسهاماتهِ العلمية في نظرية المصادر الأربعة. وخُتِمَ البحث بأبرز النتائج التي تُوصل إليها.

واعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر الأجنبية والعربيةِ والمُعربةِ، أبرزها والذي اغنى البحث في جميع جوانبهِ الكتاب الأجنبي (عمل كارل هاينريش غراف في العهد القديم: دراسة السيرة العلمية)

(Karl Heinrich Grafs Arbeit Am Alten Testament: Studien Zu Einer Wissenschaftlichen Biographie).

المبحث الأول

سيرة غراف الشخصية

أولاً: ولادة غراف:

ولد غراف في (18 ربيع الأول 1230هـ/ 28 شباط عام 1815م)، في مدينة (ميلوز Mulhouse) الفرنسية –ضُمت هذه المنطقة للإمبراطورية الالمانية منذ عام (1285هـ/ 1870م)، وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى عام (1336هـ/ 1918م)– (Encyclopedia Judaic, Vol.8, P.29).

ثانياً: تعليم غراف:

تلقى غراف تعليمه المدرسي ودروساً خاصة في اللغتين اللاتينية واليونانية في مدينتهِ الأم ميلوز. وانتقل بعدها إلى مدينة (ستراسبورغ Strasbourg) الفرنسية، حيث قادتهُ دراسة التخصصات الفلسفية فيها إلى دراسةِ اللاهوت عام (1249هـ/ 1833م) في كلية اللاهوت البروتستانتية في (ستراسبورغ Strasbourg) (Conrad, Becker, 2011, p. 15).

وفي عام (1253هـ/ 1837م) حصل غراف على منحة دراسية مكنته من الإقامة في (جنيف Genève)؛ وذلك بهدف إتقان اللغة الفرنسية، وتلقي محاضرات في كلية اللاهوت بالكنيسة الوطنية لمدة عامٍ واحد (Conrad, Becker, 2011, p. 18)، ولكن طبيعة الحياة الجامعية في جنيف حالت بينه وبين الانكِباب على الدراسات الشرقية كما كان يرجو (Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat, 1905, P.185).

ثالثاً: علاقة غراف بأساتذتهِ:

تعرَّفَ غراف أثناء دراستهِ في كليةِ اللاهوت البروتستانتية في مدينةِ (ستراسبورغ) على العالم رويس (1219هـ/ 1804م– 1308هـ/ 1891م) (Conrad, Becker, 2011, p. 15)، ونشأت بينهما علاقة فكرية عميقة وصداقة متينة، ظهرت بوضوح في مُراسلاتهما التي نُشرت عام (1321هـ/ 1904م) بمناسبة مرور الذكرى السنوية المئة لميلاد رويس (كراوس، 2020، 355/1). وكان غراف يرى في أستاذه الأب والصديق والمعلم وحظيَّ بتشجيعه المستمر ومساندته طوال صحبتهما، وفي المقابل كان أُستاذه رويس يرى فيه التلميذ الحقيقي الأكثر إخلاصاً ووفاءً والوريث العلمي له (Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat, 1905, p. 180)

لقد تأثر غراف برويس كثيراً، فالمسار العلمي الذي سلكه غراف لاحقاً كان نابعاً من هذا التأثر، إذ أخبر أستاذه بأنه سيتوجه لدراسة الشرق، وخصوصاً الهند التي يرى فيها جنة عدن المُغلقة والتي تنبع منها أنهار العالم – وفق التوراة يوجد نهر في جنةِ عدن التي خلقها الله تعالى،

وينقسم هذا النهر إلى أربعةِ أنهر تجري في الأرض، وهذه الأنهر هي: فيشون، وجيحون، ودجلة، والفرات؛ يُنظر: العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح: 2، الفقرات: 10– 15 –، علّه يجد فيها إجابات تتعلق بقصص العهد القديم من خلال مقارنتها بالقصص الشرقية، ولكن (رويس) اقترح عليه أن يتوجه للدراسات الإسلامية، وقد اقتنع غراف بهذا الاقتراح، وعليه فإن محور دراسته الشرقية سينصب في دراسة تاريخ الإسلام وشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم آمِلاً أن يجد في سيرته ما يُلقي النور على الجوانب التي يُحيطها الظلام الأسطوري في قصة موسى –عليه السلام– (Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat, 1905, P.184)

انتقل غراف إلى ولاية (زِكسن Sachsen) الألمانية عام (1260هـ/ 1845م)، حيث التقى بالمستشرق الألماني (فلايشر Fleischer) (1215هـ/ 1801م– 1305هـ/ 1888م)، وكان غراف مُمتناً للمحاضرات التي سمِعها من فلايشر عن العالم المُسلم (البيضاوي) (القرن 7 هـ/ 13م)، وعن اللغتين الفارسية والتركية؛ لذا تأثر غراف بفلايشر كثيراً، لدرجة جعلته يرى أن على الراغب بدراسة لغات الشرق الأدنى أن يأتي إلى فلايشر ويتتلمذ على يديه لمدة ثلاث سنوات، ثم يرحل إلى فرنسا للاستفادة من المصادر التي تُقدمها حول الشرق (Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat, 1905, P.184)

نشأت بين غراف وفلايشر علاقةُ صداقة قوية فكان الأقربُ إليه بعد رويس، وتأثر غراف بفلايشر كثيراً، وبلغ من تأثره بهِ أن استمر غراف في الخط العلمي الذي فتحه له فلايشر (Conrad, Becker, P.28, 29)، وباقتراح من فلايشر عمِل غراف على تحرير وترجمة قصائد من الشعر الفارسي ونشرها، إلا أنها لم تلقَ الرواج نفسُه الذي حصلت عليه أعماله اللاهوتية (Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat, 1905, P.184).

رابعاً: الوظائف التي شغلها غراف:

عمل غراف مُدرساً في باريس منذ عام (1253هـ/ 1838م)، حتى عام (1258هـ/ 1843م)، وهناك استطاع أن يستفيد من الموارد العظيمة التي تقدمها فرنسا للراغبين بالدراسات الشرقية (Conrad, Becker, 2011, P.18)، ثم انتقل غراف عام (1262هـ/ 1847م) إلى بلدةِ (مايسن Meißen) – تقع في ولاية (زِكسن Sachsen) الالمانية – حيث عُين مُدرساً في إحدى المدارس الأميرية – أقدم المدارس الحكومية للبنين في ألماني – وهي ثانوية القديسة عفرا (Conrad, Becker, P.35).

دخل غراف إلى ثانوية القديسة عفرا ذات النظام المتميز والذي لا يُمكن مقارنته بنظام المدارس العادية، وقام بتدريس اللغة الفرنسية والتي كان يُتقنها، وأظهر براعة في طريقة تدريسه جعلت مستشار المدرسة يُشيد به. وكان غراف دائم التجدد في دروسه ومواكباً للتطور العلمي

والثقافي، فهو مُدرسٌ كثير الاطلاع مما انعكس على طلابه الذين كانوا ينهلون منه ما يتعلق بالثقافة والفكر الفرنسي. إضافةً لسعةِ اطلاعه كان غراف شخصية مبدئية، إذ أدى دروسه بمهارة تربوية عالية وبضمير حي، مما جعله يحظى بمودة كبيرة من تلاميذه. أما عن المواد التي درسها غراف فهي: التاريخ، الجغرافيا، اللغة العبرية، اللغة اللاتينية، اللغة الفرنسية، ولكنه كان مُتمكناً في دروس اللغة العبرية والفرنسية أكثر من غيرها (Conrad, Becker, 2011, p. 35, 43)

وكان العمل في هذه المدرسة نظامياً وشاقاً، فعلى سبيل المثال كانت تزيد عدد ساعات الدروس على المدرسِ إذا مرِض احد زملائه؛ وذلك لأنه يتوجب على المُدرس إما أن يُلقي المحاضرات نيابة عن زميلهِ المريض إذا كان يتمكن من ذلك، أو أن يضاعف حصص دروسه؛ ليتوفر لاحقاً الوقت الكافي لزميله المريض لإكمال محاضراته. كما أن هذه المدرسة كانت تفرض معايير عالية على الطلاب مما ضاعف مهام المُدرسين .(Conrad, Becker, 2011, p. 43)

ولم يكن غراف من أولئك المُدرسين الذين يحاولون تحويل مهنة التدريس لتجارة تُدِّر عليهم المال، رغم وضعه المادي المتواضع. فقد كانت تُخصص دورات للطلاب الأضعف والذين يُتوقع منهم التأخر عن زملائهم، مما يعني دخلاً إضافياً للمُدرسين، فحاول بعض المدرسين استغلال الوضع وإعطاء محاضرات لأكبر عدد من الطلاب، لكن غراف بقي مُلتزماً بمبادئه القيمية فكان يُعطي المُحاضرات عند الضرورة ولعدد قليل من الطُلاب مُقابل مبلغ مالي بسيط؛ لذا عرفه الطلاب بالمعلم غير الأناني، الحنون، الواثق من خطواته –رغم خجله– ولا شيء يردعه عن طريقه ورؤيتهِ، مما اكسبه سُمعة طيبة، كما أنه لم يكن شخصية هامشية بالنسبةِ لهم، فرغم محاولات قمعه إلا أنه استمر بأداء واجبه بوفاء وأمانة (Conrad, Becker, 2011, p. 45, 47)

خامساً: زواج غراف:

تزوج غراف في (4 صفر 1266هـ/ 20 كانون الأول عام 1849م) من (ماري فرانك) إبنة (فريدريش فرانك) –أحد مدراء مدرسة القديسة عفرا– وكانت تبلغ من العمر (19) عاماً. وكانت ماري ذات شخصية فذّة رغم صغر سنها، ولطيفة المعشر مع زوجها، وبينهما تناغم فكري مما بدد عن غراف شعور الوحدة، وكان زواجهما مُستقراً، إذ فهِمت الزوجة طبيعة زوجها وأهدافه العلمية، وتحملت معه كل الضغوطات التي واجهها، مِنها مِحنة مرضهِ –كما ستتبين فيما بعد–، رغم أنها لم تسلم هي الأُخرى من المرض، لكنها تحاملت بشجاعةٍ مُضحية في سبيل زوجها الذي أنهكه المرض في آخر حياتهِ، وكانت والدتها تساعدها في تحمل هذه الأعباء الثقيلة. وأثمر هذا الزواج السعيد سبعة ابناء، ولكن الحياة لا تمنحُ فقط بل تأخذ أحياناً بقسوةٍ ما منحته، إذ فُجع غراف بوفاة اثنين من أبنائه عام (1274هـ/ 1857م)، وابنته (آنا) عام (1282هـ/ 1865م) (Conrad, Becker, 2011, p. 50, 56, 58, 60).

سادساً: مرض غراف ووفاته:

أُصيب غراف بمرض ذات الجنب –التهاب الغشاء الذي يُغطي الرئتين ويفصلهما عن جدار الصدر الداخلي– في الجهة اليسرى، في تشرين الثاني عام (1275هـ/ 1858م)، واشتد المرض عليه في الشهر الأخير من السنة مما منعه من إعطاء الدروس حتى عيد الفصح من عام (1276هـ/ 1859م)، ثم تحسنت حالته بعد أن انتقل إلى الريف مع عائلته، ولكنه كان يعود إلى المدينة من الاثنين إلى الخميس لإعطاء الدروس. كانت حالة غراف الصحية تسوء خلال فصل الشتاء حيث يُعاني من السعال والأرق وضيق التنفس.(Conrad, Becker, 2011, p. 58, 59)

وعندما ساءت حالة غراف عام (1285هـ/ 1868م) أصبح من المستحيل بالنسبة له الاستمرار في التدريس فقدم طلباً للتقاعد في 16 آب، وتمت الموافقة عليه بتاريخ 1 تشرين الأول من العام نفسهِ (Conrad, Becker, 2011, p. 59). وساءت حالة غراف كثيراً بعد تقاعده لدرجة أنه لم يعد قادراً على ترك غرفته، وفي (6 ربيع الآخر 1286هـ/ 16 تموز عام 1869م) توفي غراف ودُفن في مقبرة القديسة عفرا (Conrad, Becker, 2011, p. 60).

وفيما يلي التقرير الطبي عن حالة غراف الصحية (Conrad, Becker, 2011, p. 71).

2.4. Anhang: Ärztliches Gutachten über Graf[314]

Herr Professor Carl Heinrich Graf in St. Afra, 53 Jahre alt, hat einen sehr gracilen Körperbau, äußerst schmale und flache Brust und erkrankte im Jahre 1858 an einer linksseitigen Rippenfellentzündung mit großem, flüssigen Exsudate. In Folge der langsam vor sich gehenden Resorption des Exsudates blieb die linke Lunge zum großen Theile zusammengedrückt und ist in Folge dessen die linke Thoraxhälfte bedeutend eingesunken und das Rückgrath stark verkrümmt. Schon durch diesen Defect im Lungengewebe erreichte der Atmungsprocess nie wieder seine frühere Freiheit, derselbe ist aber seitdem durch den bestehenden chronischen Catarrh von Jahr zu Jahr immer beschränkter geworden, so daß gegenwärtig nach der geringsten körperlichen Anstrengung wirkliche Athemnoth eintritt. Dazu haben mangelhafte Ernährung, häufige Appetitlosigkeit und langwierige Diarrhöen, Schlaflosigkeit, eine Entzündung der zweiten rechtsseitigen Rippe mit Abceßbildung und fortdauernder Eiterung die Kräfte in hohem Maße erschöpft. Wenn daher unter den angeführten Umständen das Leben des Obengenannten überhaupt nur durch vollständige Ruhe noch gefristet werden kann, so ist für ihn namentlich die Fortsetzung seiner Berufstätigkeit geradezu unmöglich geworden und eine Aussicht auf Heilung oder wesentliche Besserung nicht vorhanden.

Meißen d. 15. August 1868.

Dr. Franz Wilhelm Körner,
Bezirks- und Landesschularzt.

يرد في التقرير السابق والمكتوب بالألمانية، أن البروفيسور غراف البالغ من العمر (53) عاماً، يتمتع بلياقةٍ بدنية، وأنه اصيب في عام (1858م) بمرض ذات الجنب الأيسر، وشكَّل وجود الإفرازات السائلة الكبيرة ضغطاً على الرئة اليسرى، مما أدى إلى تقعر النصف الأيسر من الصدر بشكل ملحوظ، وتحدب العمود الفقري بشدة، مما أثر على عملية التنفس عنده، إذ أصبح يعاني من ضيق تنفس بعد أدنى جهد بدني يقوم به، كما أنه يعاني من فقدان الشهية والأرق، والتهاب الضلع الأيمن الثاني مما استنفد قوى المريض إلى حد كبير؛ لذا لا يمكن الحفاظ على حياتهِ إلا من خلال الراحة الكاملة، وقد أصبح من المستحيل عليه مواصلة نشاطه المهني. والتقرير السابق كتبه الدكتور فرانز فيلهلم كورنر، وبتاريخ (15 آب 1868م) في مدينة مايسن.

المبحث الثاني

جهود غراف العلمية في نظرية المصادر الأربعة

سبق القول بأن نظرية المصادر الأربعة ارتبطت باسم غراف مع ثلاثةِ عُلماء آخرين، وهم: رويس، (كوينن kuenen) (1244هـ/ 1828م- 1309هـ/ 1891م)، (فلهاوزن Wellhausen) (1260هـ/ 1844م- 1336هـ/ 1918م)، فتُسمى احياناً بـ (نظرية رويس- غراف- كوينن- فلهاوزن). ولكن هُناك من العُلماء من يعترض على إدراجِ اسم غراف في هذه التسمية، إذ يرون أن أبحاثه جاءت من جهودِ سابقيه وخصوصاً استاذه رويس. ولكن على الرغم من أن غراف لم يسلك مسارات جديدة في أبحاثهِ، ولم يكن مُبتكراً لها، لكنه كان قادراً على البناء على أبحاث أسلافهِ بطرقٍ متنوعة، ودمج بين آرائهم رافعاً التناقضات بينها، وسعى لخلق رؤية شاملة لتاريخ إسرائيل القديمة والتي اتضحت بصورة أكبر على يد فلهاوزن الذي استفاد من أبحاث غراف (Conrad, Becker, 2011, p. 1, 3, 5,104).

درس غراف العهد القديم، ولم يبدأ في دراسته بأسفار التوراة الخمسة، بل بالأسفار التاريخية – وهي كل من: سفر يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، أستير – وتحديداً من سفري صموئيل والملوك وذلك في عام (1256هـ/ 1840م)، وتوصل إلى نتيجة مفادُها أن سفري صموئيل الأول والثاني يضُمان حكاية داؤود –عليه السلام– وقد أُضيفت إليها إضافات جاءت من مُحرر لاحق، وهذا المُحرر هو نفسُه مؤلف سفري الملوك الأول والثاني، وسفر يشوع (كراوس، 2020، 1/ 355، 356؛ Conrad, Becker, 2011, P. 131).

أخذ غراف عن أستاذهِ رويس مسألة تأخر ظهور القوانين الكهنوتية، وبدأ بالعمل على دراستهِ

مُنطلقاً من القواعد التي أخذها عن أستاذه رويس، فتوصل إلى أن سفر التثنية والأسفار التاريخية: القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني غير مبنية على المصدر الكهنوتي كما كان يُعتقد. إذ كان العُلماء يعتقدون أن المصدر التثنوي – والذي يُشكل سفر التثنية جُزءً كبيراً منه – أحدث المصادر التوراتية، حتى جاء رويس وطرح فكرة أن القوانين الكهنوتية – سُميت بالمصدر الكهنوتي لاحقاً –أحدث القوانين الموجودةِ في التوراة، وعندما درس غراف أسفار العهد القديم تبين له أن سفر التثنية وبعض الأسفار التاريخية لا تعتمد في بنائها على المصدر الكهنوتي، مما يعني أنها كُتبت قبل المصدر الكهنوتي، وبذلك تم تأكيد فكرة رويس حول تأخر ظهور القوانين الكهنوتية (كراوس، 2020، 1/ 359، 360؛ Conrad, Becker, 2011, P. 12).

لم تقتصر دراسة غراف على الأسفار التاريخية، بل انتقل ليدرس أسفار التوراة الخمسة وكان يعتقد أنه يجب التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر الإيلوهيمي الأساس، فالقسم الروائي سابقٌ لسفر التثنية أما القسم القانوني فهو مُتأخرٌ عن سفر التثنيةِ، إذ أن القوانين التي في المصدر الإيلوهيمي الأساس تنتمي إلى فترة السبي البابلي (597 ق.م– 538 ق.م) أو ما بعدها (شازار، 2014: 193)، وبما أن سفر التثنية كُتب ونُشر في زمن يوشيا (648 ق. م– 609 ق. م)، فأن مؤلفه كان على إطلاع بقوانين يهوه الواردة في سفر الخروج، وعليه فإن كاتبَ سفر التثنية اتبعَ الشرائعَ الواردةَ في سفرِ الخروج –القسم القانوني في المصدر الإيلوهيمي الأساس– (شازار، 2014، 193؛ Conrad, Becker, 2011, P. 94, 95). إلا أن إن هذا الفصل بين القسم القانوني والروائي الذي عمِلَ به غراف داخل المصدر الإيلوهيمي الأساسي لاقى اعتراضاً من قِبل العلماء أمثال: كوينن و(ريهم Riehm) (1246هـ/ 1830م– 1305هـ/ 1888م)، فكتب كوينن رسالة إلى غراف بتاريخ (23 ربيع الآخر 1283هـ/ 4 أيلول 1866م) يُبين فيها مخاوفه من تقسيم المصدر الإيلوهيمي الأساس إلى قصص قديمة وقوانين أحدث – وكان كوينن في ذلك الوقت يعمل على دراسة الأسفار الخمسة من الناحية الأدبية – وبيَن له أنه يؤيده بشأن التأريخ المُتأخر للقوانين الكهنوتية، ولكن لا داعي للفصل بين المادة القانونية والروائية داخل المصدر الإيلوهيمي الأساس، فرد عليه غراف برسالةٍ يُخبره فيها بأنه تفهم الخلل الذي ظهر في عملهِ هذا، وأن الاقتراح الذي قدمه كوينن يُقدم حلاً للمشكلة، وسيعمل على إصلاح الخلل (Conrad, Becker, 2011, P. 4, 135).

أما ريهم فقدم مُراجعة لعمل غراف مُبيناً بأدلة قاطعة أن الروايات التاريخية التي عزل منها غراف قوانين الكهنة تُسيطر عليها روح هذه القوانين مما يعني أنهما يُشكلان وحدة واحدة، ولا يوجد سبب يدعو إلى تأريخ القوانين إلى ما بعد السبي وافتراض أن الروايات التاريخية كانت قبلها. وقد كانت أدلة العُلماء قويةٌ لدرجة أن غراف اقتنع بها، فقدم عملاً يوضح فيه آراءه الجديدة، ومُصححاً الخطأ الذي وقع فيه –وهو تقسيم المصدر الإيلوهيمي الأساس إلى مادة قانونية، وأخرى روائية ولكل منهما زمن خاصٌ بها– وذلك في عام (1285هـ/ 1869م) –أي قبل وفاتهِ بزمن قصير– (Conrad, Becker, 2011, P. 3, 4).

كما عمل غراف على مُعالجةِ الدراسات السابقة له، ومنها اختلاف العُلماء حول القوانين في سفري التثنية والخروج، فمنهم من اعتقد بأن قوانين سفر التثنية هي الأصل وظهرت أول مرة في عهد يوشيا (648 ق. م– 609 ق. م) وبالتالي أنكروا وجود قوانين مكتوبة سابقاً، ومنهم من رأى بأن قوانين سفر الخروج هي الأصل، فعمل غراف على مُعالجة هذه المسألةِ وخرج بنتيجةٍ مفادها أن سفر التثنية لا يحتوي على قوانين جديدة في حد ذاتها، وأن كاتب التثنية اعتمد على مجموعة من القوانين القديمة، ولكن الفرق بين تلك القوانين القديمة ومن ضمنها الواردة في سفر الخروج، وبين قوانينِ سفر التثنية أن القوانين في سفر التثنيةِ أصبحت مُلزمة للشعب بوساطة المرسوم الملكي الذي اصدره يوشيا (648 ق. م– 609 ق. م)، وهكذا فإن سفر التثنية يُشكل نقطة تحول في تاريخ بني إسرائيل؛ لكون هذه القوانين اصبحت رسمية، وعليه لا حجة لإنكار الشرائع والقوانين القديمة والمكتوبة لغاية تثبيت التقليد الشفهي لا لإلزام شعب إسرائيل بتطبيقها (Conrad, Becker, 2011, P. 97, 98).

ومن المسائل التي شغلت العُلماء –ومنهم غراف موضوع بحثنا– أيضاً ما يتعلق بمركزية العبادة في إسرائيل القديمة، إذ ترد في أسفار العهد القديم نصوصٌ تُبيح عبادة يهوه في أي مكان، ومن أبرز أشكال عبادة يهوه تقديم القرابين له؛ لذا تُبيحُ بعض النصوص تقديم القرابين من قِبل الأشخاص أنفسهم –أي ليس شرطاً عن طريق كاهن– وفي أي مكان، وفي المُقابل هناك نصوص تُركز على وجوب مركزية العبادةِ، إذ لا بُد من مكان واحد تتم فيه مراسيم العبادةِ، وتُقدم فيه القرابينِ على يد الكاهن ووفق طقوس مُعينة، وهذا المكان المركزي كان في عهد موسى عليه السلام خيمة الاجتماع، ولاحقاً الهيكل الذي بدأ بناءه داود ثم أتمه سليمان –عليهما السلام– فأثار هذا التناقض تساؤل العُلماء حول مركزية العبادة ومتى ظهرت ومدى قُدسيتها؛ لأنها تتعلق بتاريخ إسرائيل، بالتالي تُقدم إسهاماً كبيراً في ترتيب المصادر زمنياً. وكان غراف من العُلماء الذين عملوا على دراسةِ هذه المسألةِ ودرسَ آراء العُلماء السابقين فتوصل إلى نتيجةِ مفادها أن تنوع أماكن العبادة في زمن الملوك –طالوت، داود، سليمان عليهما السلام– لا يعني أنها غير شرعية ومُخالفة لأمر مركزية العبادة، بل تدل على عدم وجود أمر بمركزية العبادة في ذلك الزمن، فالأمر بمركزية

العبادة وإدانة تنوع أماكنها لم يبدأ إلا مع إصلاحات يوشيا (648 ق. م– 609 ق. م)، وعليه فإن الأسفار التي يظهر فيها إدانة لتنوع أماكن العبادة في زمن الملوك إنما يتبنى كاتبها وجهة نظر لاحقة (Conrad, Becker, 2011, P. 83). إن ما توصل إليه غراف يُنبه أي باحثٍ يُريد التوصل إلى نتائجٍ علمية أنه ينبغي عليه ألّا يُهمل كاتب النص بثقافته وأيدولوجيته وظروف كتابة النص، فالكاتب قد يتأثر بالسلطةِ في عصرهِ ويتبنى آراءها، عندها تُصبح الإدانة والتبرئة وفق قوانين السلطة الحاكمة، فالسياسة قد تتحكم بأقلام الكُتاب فلا يُدونوا إلا ما يرتضيه الحاكم وحاشيته.

الخاتمة

تقلبت الحياة بغراف صعوداً وهبوطاً، وذاق من كأسي السعادة والألم، ولكن شيئان بقيا ثابتين في حياتهِ هما: شغفه العلمي، وأخلاقه المهنية، إذ لم يُفرط بهما غراف أبداً، وأعطى نموذجاً رائعاً للمُدرس الذي لم يعوقهُ روتين العمل في المدرسةِ عن مواصلةِ أبحاثهِ العلمية، ولم تدفعهُ الحاجةُ المادية إلى انتهاك قُدسية هذه المهنةِ بتحويلها لتجارة مُربحةٍ باستقطابِ أكبر عدد من الطلاب كما كان يفعل زُملاؤه، وفي خضم الحياة العلميةِ لم يتخلى غراف عن منحِ الأمانِ لأسرتهِ وإغداقه عليهم طيبَ معشرهِ. كما ولم تمنعه مكانته العلمية من الاستماعِ لنقد الآخرين لأعماله. وأخيراً لم يَحُل مرض غراف بينه وبين مواصلة التعلم والتعليم. وآملينَ بعرضنا لسيرته الشخصية وجهوده العلميةِ في نظرية المصادر الأربعةِ أن نفتح الباب للباحثين من بعدنا لدراسة هذه الشخصية بصورة أعمق وأكثر تفصيلاً مما تم في بحثنا هذا، وفيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. ألمَ غراف بالعديد من العلوم وعلى رأسها علم نقد العهد القديم، كما درس اللغة اللاتينية، واليونانية، والفارسية، إضافةً إلى تمكنه من اللغة الفرنسية التي قام بتدريسها، وكان له باعٌ في الدراسات الشرقية.
2. تأثر غراف بأساتذتهِ كثيراً، أبرزهم: رويس، فلايشر، وكان نتيجة هذا التأثر أن سلك غراف المسارات العلمية التي رسمها له هذان العالمان.
3. تمسك غراف بأخلاقيات مهنةِ التدريس، إذ لم يستعملها لدّر الأموال عليه – كما كان يفعل زُملاؤه – على حساب جودة تعليمهِ.
4. كان لزوجة غراف دورٌ في دعمه علمياً من خلال تهيئةِ جو مُناسب له لمواصلةِ أبحاثهِ، فقد فهمت الزوجة طبيعة عمل زوجها، وكانت مُتناغمة معه فكرياً.

5. تعرض غراف لمحن عديدة في حياتهِ، منها فقدهِ لبعض أبنائهِ، إضافة لمرضهِ الذي دفعه لتقديم الاستقالةِ من عملهِ، ولكن هذه المصائب لم تحل بينه وبين شغفه العلمي، فحتى آواخر حياتهِ كان غراف يكتب وينشر أبحاثه، وينقح آراءَه.
6. قدم غراف أبحاثاً مهمة ساعدت على تطور نظرية المصادر الأربعةِ في نقد العهد القديم، إذ اخذ من استاذهِ فكرة تأخر ظهور القوانين الكهنوتية مما يعني أن المصدر الكهنوتي هو آخر مصادر التوراة تدويناً –على عكس ما كان يُعتقد بأن المصدر التثنوي هو آخر مصادر التوراة– وعمِل غراف على دراسة هذه الفكرة فتوصل إلى صحتها، كما توصل إلى أن القوانين التثنوية في سفر التثنية هي أول القوانين المُلزمة للشعب بصورة رسمية من خلال المرسوم الذي اصدره يوشيا، وبالتالي فإن القوانين قبل يوشيا كانت مكتوبة لغرض حفظ التراث الشفوي لشعب إسرائيل وليس لإلزام الشعب للعمل بها.

المصادر والمراجع

- **الكتب العربية والمُعربة:**

• سالم، شريف حامد (2014م). ***المصدر اليهودي في التوراة دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية***. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي.

• شازار، زالمان (2014م). ***نقد العهد القديم***. ط 1. (ترجمة: أحمد محمود هويدي). القاهرة: رؤية.

• كراوس، هانس يواخيم (2020م). ***تاريخ البحث النقدي التاريخي للعهد القديم من ظهور حركة الإصلاح الديني حتى فلهاوزن***. ط 1. (ترجمة: أحمد محمود هويدي). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- **الرسائل والأطاريح:**

• أبو عنزة، علاء جميل (2015). ***البيضاوي وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)*** (رسالة ماجستير). (إشراف: محمد شعبان علوان) غزة: الجامعة الإسلامية، كلية الآداب.

• الروزبياني، فرست زبير محمد (2007م). ***دراسة المستشرقين الألمان للسيرة النبوية فلهاوزن نموذجاً*** (رسالة ماجستير). (إشراف: هاشم يحيى الملاح) العراق: جامعة الموصل، كلية الآداب.

• عزيز، حمزة عبد المطلب (2014م). ***موقف جولدتيسهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية*** (رسالة ماجستير). (إشراف: إبراهيم خليفة عبد اللطيف خليفة) المملكة العربية السعودية: كلية الدعوة وأصول الدين.

- المواقع الالكترونية العربية:

• إريك وينر (2018م، نيسان، 2)، ***تجربة العيش في سويسرا حيث يتحدث الناس أربع لغات رسمية***، عربي B B C NEWS.

- الكتب الأجنبية:

• Joachim Conrad, Uwe Becker (2011). ***Karl Heinrich Grafs Arbeit Am Alten Testament: Studien Zu Einer Wissenschaftlichen Biographie***. Germany.

- الأبحاث الأجنبية:

• Philip H. Wicksteed (1892). ***Abraham Kuenen, The Jewish Quarterly Review***. University Of Pennsylvania Press. Vol.4, No.4, Jul.

• Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat Leipzig (1905). ***Neunundfünfzigster Band***.

- الموسوعات الأجنبية:

• Encyclopedia Judaic, ***Second Edition***, Keter Publishing House Ltd, Jerusalem, Vol.8.

- المواقع الالكترونية الأجنبية:

• Abraham kuenen, Wikipedia, https://en.m.wikipedia.org/wiki/abraham_kuenen

• Eduard Karl August Riehm, Wikipedia, https://en.m.wikipedia.org/wiki/Eduard_Karl_August_Riehm

- Édouard Reuss, Wikipedia, https://fr.m.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Reuss;
- Edouard Reuss (1804-1891), Musée protestant, https://museeprotestant.org/en/notice/edouard-reuss-1804-1891-2/.
- Fürstenschule, Wikipedia , https://de.wikipedia.org/wiki/F%C3%BCrstenschule.

References

Qā'imah al-maṣādir

- al-Kutub al-'Arabīyah wālmu'rbh :

• Sālim, Sharīf Ḥāmid (2014m). al-maṣdar alyhwy fī al-Tawrāh dirāsah fī al-maḍāmīn al-tārīkhīyah wa-al-dīnīyah wa-al-simāt al-lughawīyah. Ṭ 1. al-Qāhirah : Maktabat Madbūlī.

• shāzār, zālmān (2014m). Naqd al-'ahd al-qadīm. Ṭ 1. (tarjamat : Aḥmad Maḥmūd Huwaydī). al-Qāhirah : ru'yah

• Krāws, Hāns ywākhym (2020m). Tārīkh al-Baḥth al-naqdī al-tārīkhī lil-'Ahd al-qadīm min ẓuhūr Ḥarakat al-iṣlāḥ al-dīnī ḥattá Filhāwzin. Ṭ 1. (tarjamat : Aḥmad Maḥmūd Huwaydī). al-Qāhirah : al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah.

- al-rasā'il wa-al-aṭārīḥ :

• al-Rūzbayānī, Farsat Zubayr Muḥammad (2007m). dirāsah al-mustashriqīn al-Almān lil-sīrah al-Nabawīyah Filhāwzin namūdhajan (Risālat mājistīr). (ishrāf : Hāshim Yaḥyá al-Mallāḥ) al-'Irāq : Jāmi'at al-Mawṣil, Kullīyat al-Ādāb.

• 'Azīz, Ḥamzah 'Abd al-Muṭṭalib (2014m). Mawqif jwldtyshr min al-'aqīdah wa-al-firaq wa-al-da'wāt al-iṣlāḥīyah (Risālat mājistīr). (ishrāf : Ibrāhīm Khalīfah 'Abd al-Laṭīf Khalīfah) al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah : Kullīyat al-Da'wah wa-uṣūl al-Dīn.

• Abū ʻAnazah, ʻAlāʼ Jamīl (2015). al-Bayḍāwī wa-juhūduhu al-balāghīyah fī ḍawʼ tafsīrihi (Anwār al-tanzīl wa-asrār al-taʼwīl) (Risālat mājistīr). (ishrāf : Muḥammad Shaʻbān ʻAlwān) Ghazzah : al-Jāmiʻah al-Islāmīyah, Kullīyat al-Ādāb.

- al-mawāqiʻ al-iliktrūnīyah al-ʻArabīyah :

• Irīk wynr (2018m, Nīsān, 2), tajribat al-ʻAysh fī Suwīsirā ḥaythu yataḥaddath al-nās arbaʻ lughāt Rasmīyah, ʻrbyB B C NEWS

- **Foreign books:**

• Joachim Conrad, Uwe Becker (2011). ***Karl Heinrich Grafs Arbeit Am Alten Testament: Studien Zu Einer Wissenschaftlichen Biographie***. Germany.

- **Foreign research**:

• Philip H. Wicksteed (1892). ***Abraham Kuenen, The Jewish Quarterly Review***. University Of Pennsylvania Press. Vol.4, No.4, Jul.

• Zeitschrift Der Deutschen Mogenländischen Gesellschat Leipzig (1905). ***Neunundfünfzigster Band***.

- **Foreign encyclopedias**:

• Encyclopedia Judaic, ***Second Edition***, Keter Publishing House Ltd, Jerusalem, Vol.8.

- **Foreign websites**:

• Abraham kuenen, Wikipedia, https://en.m.wikipedia.org/wiki/abraham_kuenen

- Eduard Karl August Riehm, Wikipedia, https://en.m.wikipedia.org/wiki/Eduard_Karl_August_Riehm
- Édouard Reuss, Wikipedia, https://fr.m.wikipedia.org/wiki/%C3%89douard_Reuss;
- Edouard Reuss (1804-1891), Musée protestant, https://museeprotestant.org/en/notice/edouard-reuss-1804-1891-2/.
- Fürstenschule, Wikipedia , https://de.wikipedia.org/wiki/F%C3%BCrstenschule.